

شعراء قتلهم شعرهم

د. إحسان النص^(*)

كان الشعر سلاحاً ماضياً في أيدي شعرائنا القدامى يتهددون به أعداءهم ويهجون خصومهم وكان إلى ذلك سبيلاً إلى اكتساب المال من الممدوحين، ولكنه كان سلاحاً ذا حدين ربما أدى إلى إلقاء الشاعر في هاوية الهلاك، حين يكون المهجو من أولي البطش والفتك، أو من ذوي السلطان القادرين على إهلاك من يتعرض لهم بهجو أو نقد، وفي هذه الأحوال تصدق مقولة "ومن الشعر ما قتل" قياساً على مقولة شاعرنا الأخطل الصغير، "ومن العلم ما قتل".

وسوف أتحدث عن هؤلاء الشعراء مع بيان الدافع إلى قتلهم بدءاً من العصر الجاهلي حتى العصور المتأخرة.

1.

طرفة بن العبد

ينتمي طرفة بن العبد إلى بني مالك بن ضبيعة، من بطون قبيلة بكر بن وائل، وهو أحد أبرز الشعراء الجاهليين، جعله بعضهم ومنهم لبيد بن ربيعة ثاني شعراء الجاهلية بعد امرئ القيس، وفضل ابن قتيبة في الشعر والشعراء معلقته على سائر المعلقات فقال: "وهو أجودهم طويلاً"، ولكن لم يؤثر عنه إلا أشعار قليلة، ولعل ما يفسر قلة شعره مقتله المبكر وهو في السادسة والعشرين. وتذكر الأخبار في سبب قتله أنه كان وخاله المتلمس، وهو من شعراء الجاهلية أيضاً، ممن يقدون على ملك الحيرة عمرو بن هند "عمر بن المنذر" وكان بهما حفياءً، وكان لطرفة بن العبد ابن عم اسمه عبد عمرو بن بشر، ولم تكن صلة طرفة به صلة الود والمحبة وإنما كان الود مفقوداً بينهما لسوء سيرته مع أخت طرفة، فهجاه طرفة بأبيات يسخر بها منه فيقول:

ولا خير فيه غير أن له غنى وأن له كسحاً إذا قام أهضما

^{*} نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

وَأَنْ نَسَاءَ الْحَيِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ يَقْلُنَ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَةِ مَلْهُمَا
كَانَ مِنْ سَادَةِ قَوْمِهِ، وَكَانَ سَمِينًا بَادِنًا. فَأَسْرَهَا ابْنُ عَمِّهِ فِي نَفْسِهِ. وَكَانَ لَهُ مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ عِنْدَ
عَمْرِو بْنِ هَنْدٍ.

ثم إن ابن هند وكل إلى طرفة وخاله المتلمس ملازمة أخيه قابوس بن المنذر، وكان قابوس فتى عابثاً لا يشغله إلا اللهو والقنص والشراب، فوجدا عناءً في ملازمته، وربما أنفقا اليوم كله في الوقوف ببابه، حتى ضاقت ذراعاً بالأمر، فنقما عليه وعلى أخيه عمرو بن هند لإذلالهما على هذا النحو، وكان طرفة فتى جريئاً لا يبالي بعواقب الأمر، فجرى على لسانه هجاء في عمرو بن هند وأخيه قابوس، قال فيه:

فَأَيُّ لَنَا مَكَانُ الْمَلِكِ عَمْرُو
لَعَمْرِكَ إِنْ قَابُوسُ بْنُ هَنْدٍ
رَغَوْتُ أَوْ حَوْلَ قَبْرِ نَا تَخْوَرُ
لِيَخَاطَ مُلْكُهُ نَوُوكُ كَثِيرٌ

فقد تمنى طرفة لو أنهم بدلوا بعمر بن هند نعجة تخور حول خباثتهم، ورمى أخاه قابوساً بالحمق، ولكن عمرو بن هند لم يبلغه هذا الشعر، وكان طرفة قال قبل ذلك شعراً يتغزل فيه بأخت عمرو بن هند، وقد رأى ظلها، فقال:

ي ي ي برقُ شِرْ نَفَادُ
د د د قد الثَمَنِي فِئاد

فغضب عمرو بن هند على طرفة ولكنه أسرها في نفسه. واتفق بعد ذلك أن ابن هند خرج إلى الصيد ومعه ابن عم طرفة، فأصاب حمار وحش، فطلب الملك إلى عبد عمرو أن ينزل إليه فأعياده، فضحك عمرو بن هند، وقال له: لقد أبصر طرفة حسن كشحك حين قال شعرد فيك، وفي رواية أخرى أنه شاهد كشحه وهما في الحمام، فأجابه عبد عمرو: إن طرفة قال فيك ما هو أقبح من هذا الشعر، وروى له ما قاله طرفة في هجائه، فاشتد غضبه، ولكنه لم يشأ أن يقتل طرفة فوراً، اتقاء لغضب عشيرته، فدعا ودعا خاله المتمسك، وكان قال أيضاً شعراً في هجاء ابن هند، وقال لهما: أمضيا إلى عامل البحرين فقد أمرت لكما بجائزة، ودفع إليهما بكتاب مختوم إلى عامله، وقد أمرده فيه بقتلهما.

أما المتلمس فقد شك في حسن نية ابن هند، وقال لطرفة: يا طرفة إنك غلام غرّ حديث السن، والملك من قد عرفت حقه وغدره، وكلانا قد هجاه، فلست أمانة أن يكون قد أمر فينا بشراً، فهل ننظر في كتابينا، فإن يكن أمر لنا بخير مضينا فيه، وإن يكن أمر فينا بغير ذلك لم نهلك أنفسنا. فأبى طرفة أن يفك خاتم الكتاب.

فدفع المثلّس كتابه إلى غلام من غلمان الحيرة يحسن القراءة، فإذا به أمر بقتله، فألقى الكتاب

في نهر الحيرة ونجا بنفسه لاجئاً إلى ملوك الشام، ونصح طرفة أن يصنع صنيعه، ولكن طرفة المغرور بمنزلته والمعتز بمنعة قومه لم يصح لنصيحته وقال لخاله: إن كان اجترأ عليك فما كان ليجترأ علي. وهنا تختلف الروايات في مقتلة، فتذكر إحداها أن طرفة مضى إلى عامل البحرين بهجر وأعطاه كتاب ابن هند، وكان العامل من ذوي قرباه، فنصح لطرفة بأن ينجو بنفسه من ليلته هذه قبل أن يدركه الصبح، فأبى طرفة وأساء الظن بقريبه، واتهمه بأن يرغب في حرمانه من الجائزة. فسجنه العامل، وبعث إلى ابن هند طالباً إعفائه من عمله لأنه لا يرغب في قتل طرفة، فأقاله ابن هند واستعمل مكانه رجلاً من تغلب، فدعا بكر بن وائل، قوم طرفة، وقرأ عليهم كتاب ابن هند، فهمموا بقتل العامل، وعاجلهم التغلبي فأمر بقتل رجلاً من عبد القيس بقتل طرفة، ففعل. ثم طالب معبد أخو طرفة بديته، فأعطيت له من بني عبد القيس. وتذكر الرواية أن قبره معروف بهجر.

وتذهب الرواية الأخرى إلى أن عمرو بن هند بعث بطرفة والمتلمس إلى عامل البحرين الربيع بن حوثر، فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتى أثلمه، ثم فصد أكحله، فمات. وفي اسم قاتله خلاف بين الروايات. وقد قالت الخرنق، أخت طرفة، وكانت شاعرة مجيدة، أبياتاً في رثاء أخيها طرفة منها قولها:

عددنا له سناً وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيدياً ضخماً
فُجعنا به، لما رجونا إيا به على خير حال لا وليداً ولا قحماً⁽¹⁾

2.

عبد بني الحساس

أحد الشعراء المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، واسمه سحيم، وكان عبداً أسود نوبياً أعجمياً، اشتراه بنو الحساس، وهم بطن من قبيلة بني أسد، وكان ينطق العربية ولكنة نوبية، ولكنه أوتي ملكة الشعر، فكان إذا أنشد يبدي إعجابه بشعره فيقول: أهشنت والله، مكان: أحسنت.

يقال إنه أدرك النبي عليه الصلاة والسلام وإنه تمثل بشطر من شعره ولكنه قدّم وأخر في الكلمات وأنقص من لفظه فاختل الوزن قال عليه الصلاة والسلام:

كفى بالإسلام والشيب ناهياً

فقال له أبو بكر: يا رسول الله، كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً.

ولما لم يستقم للرسول ﷺ روايته على وجهه قال له أبو بكر: أشهد أنك رسول الله ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ [سورة يس الآية 69].

⁽¹⁾ قصة طرفة وخاله المتلمس، الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 179/1 - 196.

وكان سُحيم يدفع عن نفسه معزة السواد بما يتحلى به من حميد الخصال نحو قوله:
 إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حَرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدُ اللَّوْنِ إِنِّي أَبْيَضُ الْخُلُقِ
 وكان، على سواد لونه وضعة أصله، يتغزل بالنساء الحرائر ويهجو الأشراف، وقد تتبأ عمر
 ابن الخطاب، رضي الله عنه، بقتله حين سمعه، مرةً ينشد متغزلاً:
 تَوَسَّدَنِي كَفَاءً وَتَثْنِي بِمَعْصَمٍ عَلَيَّ وَتَحْوِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا
 فقال له عمر: ويلك، إنك مقتول.

وقد اجترأ سحيم على التشبيب بنساء موالیه وقال أبياتاً يشبب فيها بأخت مولاه، وكانت علية، وأولها:

مَاذَا يَرِيدُ السَّاقِمُ مِنْ قَمَرٍ كُلَّ جَمَالٍ لَوْجُهُهُ تَبِعُ

فلما أفرط في التغزل بنساء مواليه ووصف محاسنهن الظاهرة والخافية عزموا على قتله، فلما قدموا به ليقتلوه لم يمنعه موقفه وهو على شفا الهلاك من قول بيتين يظهر فيهما استهانه بالموت ويفخر بما صنعه بنساء مواليه، قال:

شُدُو وَثَاقَ الْعَبْدِ لَا يَفْأَكُمُ

فَلَقَدْ تَحَذَّرَ مِنْ جَبِينِ فِتَاكُمُ عَرَقٌ عَلَى مَتَنِ الْفَرَاشِ وَطَبِيبُ

فحفروا له أخدوداً وألقوه فيه ثم ألقوا فوقه الحطب فأحرقوه^(١).

.3.

قيس بن الخطيم

قيس بن الخطيم من شعراء قبيلة الأوس المشهورين في الجاهلية، كانت بينه وبين حسان بن ثابت مناقضات، وكان يفخر فيها بقومه الأوس وبوقائعهم مع قبيلة الخزرج، قبيلة حسان، ويعدد مثالبها، وكان لهذا الشعر وقعه الشديد في نفوس الخزرج.

وكان قيس، إلى جانب كونه شاعراً فحلاً، فارساً أبلى أعظم البلاء في الوقائع التي دارت في الجاهلية بين قبيلتي الأوس والخزرج، قبل أن يوحدهما الإسلام في جماعة قبلية واحدة عرفت بالأنصار، دعوا بذلك لنصرهم رسول الله ﷺ في وقائعه مع مشركي قريش وغيرهم.

نشبت مناقضات قبل الإسلام بين قيس بن الخطيم وحسان بن ثابت، كل منهما كان يفخر بمنزلة قومه وخصالها ووقائعها. وكان قيس ندا لحسان في البراعة الشعرية، ومن نقائضهما القصيدتان

(11) الأغاني، الأصصهاني، 305/22.

أَجِدَ بَعْمَرَةَ غُنِيًّا بِهَا فَتَهْجُرُ أُمَّ شَاطِنًا شَانَهَا

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَاطَرَادِ الْمَذْهَبِ

بلغ إلى قوله:

أَجَالَهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَأَن يَدِي بِالسَّيْفِ مَخْرَاقُ لَاعِبٍ

وملحفة مرساة (مصبوغة بالورس وهو الزعفران) فجالدنا كما ذكر.

قبر العين لأن دمه لم يذهب هدرًا⁽¹⁾.

(1) الأغاني، الأصبهاني، 12/3.

.4.

ابن دارة

اسمه سالم بن مُسافع بن يربوع الغطفاني القيسي، وأمه دارة من بني أسد، نسب ابنها إليها، ونسبة الرجل إلى أمه كانت شائعة في القديم، وهو شاعر مخضرم بين الجاهلية والإسلام، وكان شاعراً هجاءً، وكان أخوه عبد الرحمن شاعراً أيضاً.

وقع شر بين ابن دارة وبين مروة بن واقع، وكان أحد وجوه بني فزارة، وسبب وقوع العداوة بينهما أن مروة طلق امرأته ثم أراد أن يعاودها، ولكن رجالاً ثلاثة تقدموا لخطبتها قبل أن يعاودها، فلجأ إلى معاوية، وهو يومئذ وال على الشام من قبل عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فقال له معاوية: لقد ذكرت امرأة صغيراً في أمر عظيم، أمر الله عظيم، وامرأتك أمرها صغير، ولا سبيل لك عليها. ففرق معاوية بينهما. واختارت المرأة أحد الذين تقدموا لخطبتها فتزوجته، فقال ابن دارة رجوا في ذلك يعتر فيه مرة بإخفاقه في استعادة زوجته، ومنه قوله:

يَا مُرَّيَا ابْنِ وَقَعِ يَا أَنْتَا أَنْتَ الَّذِي طَلَقْتَ لَمَّا جَعْتَا

فَضَّلَهَا الْبَدْرِي إِذَا طَلَّقَهَا

حتی إذا اصطبحت واغتبتنا

أَقْبَلْتُ مُعْتَادًا لِمَا تَرْكَبَانَا

أردت أن تـردّها كذبيـتاً

أودی بنو بدر بها وأنبتا

تَقْسِم وَسْطُ الْقَوْمِ مَا فَارَقْنَا

قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ وَقَدْ أَسَاءَا

فاضطغنها مرّة على ابن دارة وأقسم أن يهجو ما بلّ ريقه لسانه. ولم يكفّ ابن دارة عن هجاء مرّة وقومه بني فزارة، ومن هجائه المقذع فيهم قوله:

لا تَأْمَنَنَّ فِرَازِيَا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قُلُوبِكَ وَانْتَبَهَا بِأَسْيَارِ

فلما لج في هجاء بني فزارة أقسم رجل منهم يدعى زُمَيْل بن أُبَيْر أن لا يأكل لحماً ولا يغسل رأسه ولا يأتي امرأة حتى يقتل ابن دارة. وسنحت له الفرصة حتى لقيه في المدينة فاتبعه ثم علاه بالسيف ولكنه لم يجهز عليه، فحمل إلى عثمان فدفعه إلى طبيب نصراني عالجه وأوشك أن يبرأ من

عليها أخذ بجمالها فشبب بها، ويقال إنها شجعت على التغزل بها. وبلغ شعره الوليد فعزم على قتله، وكان وضاح قد قدم على الوليد قبل ذلك ومدحه بمدائح عدة، فأحسن الوليد صلته، ولكنه غضب لتشبيهه بزوجه، فأرسل إليه من اختلسه ليلاً وجاء به، فقتله ودفنه في داره، فلم يوقف له بعد ذلك على خير.

وقد حيكّت حول مقتله أخبار هي أدنى إلى الأساطير فزعموا أن أم البنين كانت تخلو به في غرفتها وقد أعدّت صندوقاً لتخفيه فيه إذا فاجأها أحد، ونمي الخبر إلى الوليد من طريق أحد خدمه، فدخل على أم البنين وأخذ الصندوق الذي خبأت فيه وضاحاً، ثم حفر حفرة في مجلسه ودفن الصندوق فيها، فمات وضاح مختفياً داخل الصندوق.

ومن شعرد في التشبيب بها قصيدته التي يقول فيها:

تَكْهَلُ حِينَأَ فِي الْكُهُولِ وَمَا احْتَلَمَ
مُخَضَّبَةَ الْأَطْرَافِ طِيبَةَ النَّسَمِ
وَقَالَتْ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ فَعَلِ مَا حَرَّمَ

.5.

ابن الدِّمِينَة

اسمه عبد الله بن عبيد الله، والدُ المَينَة أمّه وقد نُسب إليها، وهو ينتمي إلى قبيلة خُثَعم اليمانية، وهو شاعر غزلي من فحول شعراء العصر الإسلامي.

تذكر الأخبار أن رجلاً من بني سلول يقال له مزاحم كان يختلف إلى امرأة ابن الدمينه ويتحدث إليها، فعزم ابن الدمينه على قتله، فأرغم امرأته على أن تبعث إلى مزاحم وتواعده ليلاً في دارها، ففعلت وكمن له زوجها وصاحب له، وأعد له ثوباً فيه حصى، فلما حضر ضرب كبده بالثوب حتى قتله، ثم طرحه ميتاً خارج داره، فجاء أهله فاحتملوه وعرفوا أن قاتله هو ابن الدمينه.

وكان الهجاء قد لجّ قبل ذلك بين مزاحم وابن الدمينية، وقد تناول ابن الدمينية قبيلة سلول بكل سوء، فنقمت عليه لذلك.

وبعد مقتل مزاحم عاد ابن الدمينة إلى هجاء بني سلول، ومما قال فيهم:

قالوا هجنتك سلولُ اللؤم مخفية
قالوا هجاك سلولي فقلت لهم
رجالهم شرُّ من يمشى ونسوتهم
فاليوم أهجو سلولاً لا أخافها
قد أنصف الصخرة الصماء رامها
شَرَّ السَّيِّئَةِ.. ذلَّ حامها

ثم أتى ابن الدمنية امرأته فطرح على وجهها قطيفة وجلس عليها حتى قتلها. وبعد مقتل مزاحم مضى أخو القاتل إلى الوالي أحمد بن إسماعيل فاستعداه على ابن الدمنية لقتله أخاه وهجائه قومه، فقبض الوالي على ابن الدمنية وزجّه في السجن.

ولما طال سجنه ولم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلاً ولا حُجَّةً أطلقه، ومع أن بني سلول قتلوا رجلاً من خثعم بواء بقتيلهم لم يشفوا منه لهجانه إياهم، وكانت أم القتيل لا تزال تحرصُ أخا القتيل مصعباً على قتل ابن الدمنية وتقول له: اقتل ابن الدمنية، فإنه قتل أخاك، وهجا قومك، وذمَّ أخاك. فأخذ مصعب يتعقب ابن الدمنية، وسنحت له الفرصة حتى لقيه ببالة، وهو في طريق حجه، فعلاه بسيفه حتى قتله.

ومن مشهور شعر ابن الدمنية في الغزل قصيدته التي يقول فيها:

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ، مَتَى هَجْتَ مِنْ نَجْدٍ
أَنْ هَتَفْتَ وَرِقَاءً فِي رَوْنَقِ الضَحَى
فَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجْداً عَلَى وَجْدٍ
عَلَى فَنَنْ غَضَ النَّسَبَاتِ مِنَ السَّرْنَدِ
وَذُبْتَ مِنَ الشَّوْقِ الْمَبْرَحِ وَالصَّدِّ⁽¹⁾

.6.

الوليد بن يزيد

الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الخليفة الأموي الحادي عشر، كان شاعراً مجيداً أخذ منه الشعراء بعضاً من معانيه المبتكرة وتضافرت على قتله دواع شتى: كان متيمماً في دينه، وكان متعصباً للقيسية، وكان يهجو اليمانية ويتحداهم بشعره، وقتل أحد أشرفهم البارزين فقتلته اليمانية.

كان ابن عم الوليد، ناقماً عليه لسوء سيرته وفساد عقيدته، فكان يحرض الناس عليه، وأيدته القبائل اليمانية التي كانت نائمة على الوليد لتعصبه للقيسية، قبيلة أمه، ولهجانه إياهم وتحذيرهم أن ينتصروا لخالد بن عبد الله القسري، وهو من قبيلة بجيلة اليمانية.

وكان خالد والي العراق في خلافة هشام بن عبد الملك، ثم عزله هشام، ولما ولي الوليد الخلافة سجنه ثم أمر بقتله، فقتله يوسف بن عمر الثقفي، والي العراق، وقد قال الوليد بن يزيد قصيدة يهجو بها اليمانية ويفخر فيها بقتله خالداً ويتحدى قومه اليمانية أن يثأروا له، ومنها قوله:

وهذا خالد فينا قتيلاً
ولو كانت بنو قحطان غرباً
ألا منعه إن كانوا رجلاً
لما ذهب صناعه ضللاً

(1) الأغاني، الأصبهاني، 350/16.

ولكن المذلة ضعفتهم فلم يجدوا لذلالتهم مقالا

وقد أثارت هذه القصيدة ثائرة اليمانية، وكانت من دواعي إقدامها على قتله، يترعما منصور بن جمهور، وقال شاعرهم عمران بن هلباء الكلبي قصيدة ينقض فيها قصيدة الوليد ويفخر باليمانية وقتلهم الوليد بن يزيد ومنها قوله:

سَنَبِيْكَى خَالِدًا بِمَهْنَدَاتٍ وَلَا تَذْهَبْ صَنِيعَهُ ضَلَالًا

وقال الشاعر الكلبى اليماني خلف بن خليفة أبياتاً يفخر بها بثأر اليمانية لخالد ومنها قوله:

لَقَدْ سَكَنَتْ كَلْبَ وَأَسْبَاقَ مَذْحِجَ صَدَىٰ كَانِ يَزْقُو لَيْلَهُ غَيْرَ رَاقِدِ

ترکین اُمیر المؤمنین بخالد
مکباً علمی خیشومه غیر ساجد^(۱)

.7.

ضابئ بن الحارث البرجمي وابنه عمير

كان ضابط بن الحارث البرجمي شاعراً هجاءاً وقد هجا في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، قوماً من الأنصار لنزاع كان بينهما، فاستعدوا عليه عثمان، فسجنه، فما زال في الحبس حتى مات فيه، وكان قبل موته قال أبياتاً منها قوله:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت علي عثمان تبكي حالاً له

ولما أحاط الثائرون بعثمان كان عمير بن ضائب أحد من شاركوا في قتله، ويقال إنه وثب عليه وهو مطروح على الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه، انتقاماً لأبيه الذي سجنه عثمان ومات في سجنه.

ولما نذب الحجاج لقتال الخوارج مع المهلب بن أبي صفرة، جاءه عمير بن ضائب وقال له: أنا شيخ كبير عليل، وهذا ابني وهو أشب مني. فلما سأله عن اسمه وعرف أنه ابن ضائب البرجمي الذي قال البيت السابق، قال له: اني لأحسب أن في قتلك صلاح المصيرين، ثم أمر بقتله⁽²⁾.

. 8 .

أَعْتَشِي هَمْدَان

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله، وينتمي إلى قبيلة همدان اليمانية، وهو شاعر فصيح من شعراء

(1) الأغاني، الأصبهاني، 1/7.

(2) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 350/1.

الدولة الأموية، وكان إلى ذلك أحد الفقهاء القراء من أهل الكوفة.

لما ثار عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على بني أمية وعاملهم على العراق الحجاج بن يوسف، خرج معه أعشى همدان يقاتل ويقول الشعر في مديحه وهجاء الحجاج، وكان كثير التحريض لأهل العراق على الخروج على الحجاج، وما قاله في ذلك من قصيدة:

وإذا سألت المجد أين محله فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأشج وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود

[الأشج: لقب الأشعث بن قيس، جد الممدوح، بخ بخ: كلمة تقال عند الثناء والإعجاب] ومن شعره في هجاء الحجاج وتحريض ابن الأشعث على الخروج عليه قوله:

نبئت حجاج بن يوسف فخر من زلق فتباً
فانهض فديت لعله يجلو بك الرحمن كسرباً

فلما باءت ثورة ابن الأشعث بالإخفاق وقتل أتى بأعشى همدان أسيراً إلى الحجاج، فحاول الشاعر استرضاءه بقصيدة مدحه بها، وأصر الحجاج على الأعشى أن ينشده الشعر الذي الذي مدح به ابن الأشعث، فأنشده إياه مكرهاً، فذكره الحجاج ببعض ما قاله من الشعر ثم قال له: والله لا تبخبيخ بعدها أبداً. ثم أمر أحد الحرس بقتله، فضرب عنقه⁽¹⁾.

9.

بشار بن برد

بشار بن برد بن يرجوخ. من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وهو شاعر من أصل فارسي، وقد جعله أبو الفرج الأصفهاني في مقدمة الشعراء المحدثين، قال: "محله في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله."

كان بشار وأبوه برد من عبيد خيرة القشيرية امرأة المهلب بن أبي صفرة، وقد وهبت برداً لامرأة عقيلية بعد أن زوجته، فولدت له امرأته بشاراً فأعتقته العقيلية.

ولد بشار مكفوفاً ونشأ في موالى بني عقيل فأخذ عنهم الفصاحة والبيان، ووهب الملكة الشعرية، فأخذ يقول الشعر، وكان جل شعره مديحاً وهجاءً وغزلاً، وكان سليط اللسان في هجائه، وقد اجترأ على هجاء الأشراف والوزراء ورؤساء المذاهب وخصومه من الشعراء، بل إنه قال هجاء في الخليفة المهدي، وكان هذا الهجاء من دواعي قتله.

(1) الأغاني، الأصبهاني، 33/6.

كان بشار متهماً في عقيدته، وقد رويت له أشعار في تفضيل إبليس على آدم والنار على الطين، ومن قوله في ذلك:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة منذ كانت النار

وكان يفحش في غزله، فنهاه المهدي عن التعزل بالنساء، وأخذ عليه فساد دينه وزندقته وقوله الشعر في المس بالدين الإسلامي. وكان المهدي يطارد الزنادقة ويأمر بملاحقتهم واستئصالهم، ومما زاد في نقمة المهدي عليه هجاؤه إياد، وله شعر يحرض فيه بني أمية على بني العباس ويهجو وزير المهدي والخليفة معه، قال:

بنی اُمیة هبوا طال نومکم
 إن الخلیفة یعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الزقة والعود

فعزم المهدي على قتله ليجأئه إياه ولشعره الماس بالعقيدة الإسلامية والدال على زندقته، فقدم إلى البصرة متعللاً بالنظر في أمورها، ولكن غرضه الحقيقي كان البطش ببشار، فلما بلغها سمع أذاناً في وقت الضحى، فسأل عن الأمر فإذا بشار يؤذن وهو سكران. فغضب المهدي وأحضره وأمر بضربه بالسوط، فضُرب سبعين سوطاً، ثم أُلقي في سفينة حتى مات⁽¹⁾.

. 10 .

ابن الرومي

هو علي بن العباس بن جريج، من أصل رومي (يوناني) ولذلك قيل له: ابن الرومي، شاعر مجيد من شعراء العصر العباسي، قال فيه ابن خلكان: "الشاعر المشهور، صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقى فيه بقية".

أكثر شعره في الوصف، وقد أبدع في وصف مشاهد الطبيعة والمغنين والقيان والمآكل، وكان هجاء لا يكاد يسلم أحد من هجوه، وكان مضطرب المزاج، يتطير من مشاهد القبح، وربما لازم بيته أياماً لا يبارحه لئلا تقع عينه على جار له أدب.

يذكر في سبب موته أنه كان يغشى مجلس القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد العباسي، وكان الوزير يخاف من هجوه وفلتات لسانه بالفحش، فأوعز إلى متولي طعامه أن يقتله بالسم، فأطعمه في مجلس الوزير خشكانجة مسمومة [والخشكان كلمة فارسية معربة تطلق على ضرب من الطعام من دقيق الحنطة والسكر واللوز والفسق]، فلما أكلها أحسن بالسم، فقام ليذهب، فقال له الوزير: إلى أين تذهب؟ فأجابه إلى الموضع الذي بعثتني إليه. فقال له الوزير: سلم على والدي. فأجابه ابن الرومي:

(1) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 224/1 - 227.

على أنه من المحقق أن فاتكاً — وإن كان من اللصوص الفُتَّاك المشهورين — كان سيحمله الطمع في أموال المتنبي الضخمة على مهاجمته حتى لو انتفى واقع الانتقام لابن أخته.

وثمة رواية أخرى في سبب مقتله تجعل عضد الدولة هو المحرّض على قتله لأنه فضل عليه سيف الدولة، وهذه الرواية مستبعدة.

وقد خسر الشعر العربي بمصرع المتنبي أعظم قائله، وهو الذي قيل فيه: مالى الدنيا وشاغل الناس.

المصادر :

- 1 - وفيات الأعيان، ابن خلكان، تح. إحسان عباس، ج 1، ص 120.
- 2 - معاهد التنصيص للعباسي، ج 1، ص 27.
- 3 - مع المتنبي، طه حسين.
- 4 - المتنبي: محمود محمد شاكر.

000